﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧﴾ [المائدة: 37]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

استكمال بيان الحالة النّفسيّة للكفّار الطّامعين في النّجاة من مكابدة العذاب

لمّا ذكَرَ الله في الآية السَّابقة شدَّة إيلام عذاب الكفَّار يوم القيامة علّلَه بتأكيد نفي خروجهم مِنَ النَّار، ودوام العذاب عليهم، فهم يريدون أن يكون لهم خروج في وقت ما، إذا رفعهم اللهب حتّى يكاد أن يلقيهم خارجًا منَ النّار، ثمّ نفى خروجهم على وجه التّأكيد الشّديد، فقال: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ﴾، أي: ما يثبت لهم خروجٌ أصلاً[1]، ويحتمل أن يُقالَ في مناسبة الآية: إنَّها استئنافٌ بيانيٌّ؛ سيقَت لبيان حال الكفَّار في أثناء مكابدة العذاب؛ إذ مِن شأن مَن سمع الآية الَّتي قبلها أَن تَستَشرف نَفسُه للسُّؤال عن حال أُولئك الكفَّار الَّذين لا يُتَقَبَّلُ منهم فداءٌ، مهما جلَّ وعظُم، كأنَّه قيل: فكيف يكون حالُهم أو ماذا يصنعونَ؟ فجاءَت هذه الآية بالجواب[2]، "وهذا القول يُوحي أوّلًا بأنّ رحمةً ما ستصل إليهم، ولكن ما يأتي بعد هذا القول يرسم الهول الكامل ويجسّده، كما في قوله تعالى: ﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ﴾ [الكهف: 29]. وهذه قمّة الهول، وهناك فرق بين الابتداء المُطمِع، والانتهاء المُؤيّس.. والسّياق يريد لهم صدمة الألم المُؤيّس بعد نشوة الرّجاء المُطمع، وهو ألمٌ في العقوبة، وأنكى في التّقريع، وقد عبّر عنه تعالى بقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 6/134.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/34، ورضا، تفسير المنار: 6/313.
(3) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 5/3114.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَن يَخْرُجُواْ﴾ ﴿بِخَٰرِجِينَ﴾: تدلُّ كلمة (خرج) على معنى النَّفاذ عنِ الشَّيء ومجاوزته، بحيثُ يَبرزُ مِن مقرِّه أو حاله، ويظهرُ منه. والمقرُّ قد يكون دارًا، أو بلدًا، أو ثوبًا، ومنه خرج مِن بيته إذا نَفَذَ عنه. وقد يكون المقرُّ حالَه الّذي هو فيه، ومنه خرج منَ الجهل إلى العلم[1]، ويخرجون منَ النّار، بمعنى: ينفذون منها، "وهذا الخروج منَ النّار الّذي طلبوه قد بيّن تعالى أنّهم لا ينالونه، كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: 167]، وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحجّ: 22]"[2].

2) ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: الكلمتان مرتبطتان في الدّلالة في هذا السّياق، والمقصود بالشّرح لفظ ﴿مُّقِيمٌ﴾، أصل الكلمة (قَوَمَ)، ويدلُّ على معنى الانتصاب والثّبات، ومنه القائم؛ لأنَّه ينتصِبُ، ومنه كذلك القيامُ بالشَّيء بمعنى المواظبة عليه والاستمساك به؛ لأنَّ الانتصابَ يستلزم الثُّبوت، والمقيمُ هو الدّائم الّذي لا ينقطِعُ[3]، و﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ في الآية بمعنى العذاب الّذي لا يزول ولا يتحوَّل[4]، وقد أشرك اللّه في العذاب المقيم المنافقين ذكرانًا وإناثًا، والكفّار على الإطلاق، فقال في آخر الآية التّاسعة من سورة التّوبة: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التّوبة: 9]، أي" دائم معهم لا ينفكّون عنه[5].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يريدُ الَّذين كفروا أَن يَخرجوا مِنَ النَّار، دار العذاب والشَّقاء بعد دخولهم فيها، لِمَا يلاقونه من أهوالها، وما هم بخارجين منها أَلبَتَّة، ولهم عذاب دائمٌ لا يزول، ولا ينقطع، ولمّا كان المعذّبون في دار، ربّما دام لهم المكث فيها، وانقطع عنهم العذاب، قال: ﴿وَلَهُمْ﴾،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (خرج).
(2) الشّنقيطيّ، أضواء البيان: 5/359.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والسّمين، عمدة الحفّاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (قوم).
(4) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 4/340.
(5) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 1/692.

لا أمل للكفّار بالخروج منَ العذاب، ولا فكاك لهم منَ الخلود في سوء المآب

أي: خاصّة دون عصاة المؤمنين، ﴿عَذَابٌ﴾، أي: تارة بالحرّ، وتارة بالبرد، وتارة بغيرهما، دائم الإقامة لا يبرح ولا يتغيّر، وهو ما وصفه بقوله: ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة التّعبير بلفظ ﴿يُرِيدُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾:

تجدّدُ إرادة الخروج منَ النّار زيادةٌ في العذاب والاستنفار

ورد الفعل بصيغة المضارع للدّلالة على تجدُّد الحدوث، فهم يريدون أن يخرجوا منَ النَّار حالًا فحالًا باستمرارٍ، فكلَّما مرَّ عليهم وقتٌ تَتَجدَّدُ إرادتُهم للخروج، وعبَّرَ بالفعل ﴿يُرِيدُونَ﴾؛ للإشارة إلى أنَّهم يَحتالون للخروج بأيِّ طريقة، ولاينفعهم[2]، ولا إرادة لهم في الخروج إلَّا إذا كانَت هناك مَظِنَّةٌ أن يَخرجوا نتيجةَ تقليب ألسنة اللهب لهم[3]، زيادةً في ألم العذاب عليهم، كما أنَّ الفعل ﴿يُرِيدُونَ﴾ يقتضي أنّهم يَرجون ويَتَمَنَّونَ ويَسألونَ[4] مِن غير تحصيلٍ للمُراد، فما هم بخارجين منها، ولنا أن نسأل في قوله تعالى:

﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾، على غرار ما ذكره السّمعانيّ، بقوله: "فإن قِيل: إذا لم يكونوا خارجين منها، كيف يريدون الخروج؟ قيل: يريدون ذلك جهلًا؛ ظنًّا أنّهم يخرجون، وقِيل: يتمنّون ذلك، فهي إرادة بمعنى التّمنّي، وليس بحقيقة الإرادة"[5].

سبب إيثار المصدر المؤوّل على الصّريح في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ﴾:

فذكر المصدر المؤوَّل ﴿أَن يَخْرُجُواْ﴾، ولم يَقُل (يُريدونَ الخُروجَ)؛ لإفادة أنَّ ما يريدونه مستمرٌّ في المستقبل، بدلالة (أن) المصدريّة، ولاستحضار صورة إرادتهم الخروجَ مِنَ النَّار؛ لِمَا تدلُّ عليه صيغةُ الفعل

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 6/134.
(2) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 4/340.
(3) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 5/3114.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/244.
(5) السّمعانّي، تفسير القرآن: 2/36.

المضارع، "قال الحسن: إذا فارت بهم النّار فرُّوا من بأسها، فحينئذٍ يريدون الخروج، ويطمعون فيه، وذلك قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾، وقِيل لجابر بن عبد الله: إنّكم يا أصحاب محمّد، تقولون: إنّ قومًا يخرجون منَ النّار، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ﴾، فقال جابر: إنّما هذا في الكفّار خاصّة"[1]. وعليه فاستمرار الكفر على مدى العمر دون توبة يقتضي إيراد المصدر المؤوّل، ووجود الحرف المصدريّ، وهو ما يلائم السّياق، ويناسب الدّلالة.

عقاب الله يستمرّ، ويتعاظم بقدر جرم الكفر وبشاعته

بلاغة مجيء الكلام على خلاف مُقتضى الظّاهر، بالتّعبير بالجملة الاسميّة المنفيّة:

لمّا ورد الكلام بصيغة الجملة الفعليَّة في قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ كان الظَّاهر أن يكون النَّفي على وِفقه، فيقول: (وما يَخرجُونَ منها)، لكنَّه عبَّرَ بالجملة الاسميَّة المنفيَّة على خلاف مُقتضى الظَّاهر؛ لِمَا فيها مِنَ المبالغة بتأكيد النَّفي؛ لبيان كمال سُوء حالهم باستمرار عدم خروجهم منها، والمبالغة كذلك بنفي إخراج ذواتهم وأَنفسهم بدلًا مِن أَن ينفي الفعل، ولمّا توجَّه النَّفي إلى ذواتهم، إذ قال: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ﴾، أفادتِ الجملة الاسميَّة دوام نفي خروج ذواتهم مِنَ النَّار وثباته، فلا مَطمعَ لهم في الخروج؛ فإنَّ الجملة الاسميّة الإيجابيَّة كما تُفيدُ – بمعونة المقام – دوام الثُّبوت تفيد السّلبيّة أيضًا بمعونته دوامَ النَّفي[2]، والقول بنفي خروج الكفّار منَ النّار نصّ عليه ظاهر هذه الآية، وهو واضح غاية الوضوح، ولكنّ المؤمن العاصي يخرج منَ النّار، ولو بعد حين، ولا يخلّد المؤمن في النّار، وهو قول أهل السّنّة، وما ورد عكسه هو قول نافع بنِ الأزرق، وهو رأس فرقة منَ الخوارج، ومذهبه: أنّ من

المبالغة في تأكيد نفي خروج الكافرينَ مِنَ النَّار، باستعمال الجملة الاسميّة السّالبة

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/245.

(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 2/302، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/34.

دخل النّار لا يخرج منها، وهو قول المعتزلة، وقد أنكر الزّمخشريّ ما روي عن جراءة نافع على ابن عبّاس ﷺ بكلام غليظ مفترى احتجاجًا بقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ﴾، فأجابه ابن عبّاس ﷺ: (اقرأ ما فوق هذه الآية، فإنّه وارد في الكفّار)[1]، وإنكاره للرّواية؛ هو تدليل على مذهبه، وقد أشار إلى ذلك أبو حيّان في البحر المحيط، ذاكرًا أنّ ذلك كان على عادته في سبّ أهل السّنّة، ومذهبه: أنّ من دخل النّار لا يخرج منها، وهو في ذلك على مذهبه الاعتزاليّ[2].

أثـــر الآيـــة في دلالة العامّ على الـخـاصّ؛ قصد تيئيس الكافرين منَ الخلاص

واو الحال في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ﴾:

جاءتِ الواو حاليَّةً على معنى أنَّ نفيَ خروجهم مِنَ النَّار مُقترنٌ في الزَّمن بإرادتهمُ الخروجَ منها؛ تَيئيسًا لهم، قِيل لجابر بن عبد اللّه: إنّكم يا أصحاب محمّد، تقولون: إنّ قومًا يخرجون منَ النّار، واللّه تعالى يقول: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ﴾، فقال جابر: إنّكم تجعلون العامّ خاصًّا، والخاصّ عامًّا، إنمّا هذا في الكفّار خاصّة، فقُرئتِ الآية كلّها من أوّلها إلى آخرها، فإذا هي في الكفّار خاصّة، و﴿مُّقِيمٌ﴾، معناه: دائمٌ ثابتٌ لا يزولُ ولا يحولُ، قال الشّاعر:

فَإِنَّ لَكُم بِيومِ الشِّعبِ منِّي***عَذَابًا دَائِمًا لَكُمُ مُقِيمَا[3].

(1) قال الزّمخشريّ: "وما يُروى عن عكرمة، أنّ نافع بنَ الأزرق قال لابن عبّاس: (يا أعمى البصر، أعمى القلب، تزعم أنّ قومًا يخرجون منَ النّار، وقد قال اللّه تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ﴾ [المائدة: 37]؟ فقال: ويحك، اقرأ ما فوقها، هذا للكفّار)، فممّا لفقته المُجبّرةُ، وليس بأوّل تكاذيبهم وفراهم، وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الأزرق، ابن عمّ رسول اللّه ﷺ، وهو بين أظهر أعضاده من قريش، وأنضاده من بني عبد المطّلب، وهو حبر الأمّة، وبحرها، ومفسّرها، بالخطاب الّذي لا يجسر على مثله أحد من أهل الدّنيا، ويرفعه إلى عكرمة دليلين ناصّين أنّ الحديث فرية ما فيها مرية". ينظر: الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/630.

وعلّق على ذلك الشّوكانيّ، فقال: "لله العجب من رجل لا يفرّق بين أصحّ الصّحيح، وبين أكذب الكذب على رسول الله ﷺ يتعرّض للكلام على ما لا عرفه، ولا يدري ما هو؟ وقد تواترت الأحاديث تواترًا لا يخفى على من له أدنى إلمام بعلم الرّواية، بأنّ عصاة الموحّدين يخرجون منَ النّار، فمن أنكر هذا فليس بأهل للمناظرة، لأنّه أنكر ما هو من ضروريّات الشّريعة، اللّهمّ غفرًا". ينظر: الشّوكانيّ، فتح القدير: 2/46.

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/245.

(3) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 6/159، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/245.

دلالة حرف النَّفي (ما) في قوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ﴾:

أفادَت ﴿وَمَا﴾ نفي الحال والاستقبال، فهم ليسوا بخارجين منها حالَ إرادتهمُ الخروج ولا بعده؛ ليدلَّ النَّفيُ على دوام بقائهم في النَّار، مع العذاب النَّفسيِّ في عدم تحقيق إرادتهم، كما أنَّه آثَرَ هنا: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ﴾، على (وهم خالدون فيها)؛ لأنّه لمّا اقتضى إرادتُهم الخروجَ أنَّهم قد دخلوا فيها كان نفيُ خروجهم منها أنسبَ بالسِّياق، وأوكدَ في المعنى من ذكر بقائهم في النّار، أو خلودهم فيها؛ إمعانًا في عذابهم بعدم تحقيق أُمنيتهم وسؤالهم ورجائهم بذكر ما يُؤيِّسُهم.

تشديد العذاب بنفي تحقيق رجاء الكافرين

تأكيد الكلام لتقرير المعنى في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ﴾:

تضمّن الكلام تأكيدين لنفي خروجهم مِنَ النّار؛ للمبالغة في تشديد العذاب عليهم وإبلاسهم: أحدهما: تأكيد مضمون الجملة بمجيئها جملةً اسميّةً، والمعنى: تأكيد دوام نفي خروجهم مِنَ النَّار، والآخر: تأكيدُ المسند بالباء، أي: تأكيد نفي الخروج، فكأنَّ نفيَ الخروج تأكَّدَ مرَّتين؛ لتقرير المعنى وتثبيته.

تأكيد دوام نفي خروج الكافرين مِنَ النَّار، حيث يستغيثون ولا يغاثون

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أنّهم يقصدون ويطلبون المخرج منها، كما قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحج: 22].. والآخر: أنّهم يتمنّون ذلك بقلوبهم، كما قال الله تعالى إخبارًا عنهم: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧﴾ [المؤمنون: 107] "[1].

وفي حاشيّة القونويّ الإشارة أنّ قوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ﴾ بدلٌ؛ أراد" أنّ الظّاهر أن يقال: (وما يخرجون)؛ ليطابق أن يخرجوا، فعدل للمبالغة، فالجملة الاسميّة لدلالتها على الثّبات

(1) البغويّ، معالم التّنزيل: 2/46.

والدّوام؛ تفيد المبالغة في لزوم عذابهم، وعدم خروجهم أبدًا، إذِ المنفيّة كالمثبتة في الدّلالة على الدّوام، ولكن قد تكون لنفي الدّوام، وقد تكون لدوام النّفي بملاحظة النّفي أوّلًا، والدّوام ثانيًا، كما في هذا المقام"[1].

دلالة تقدّم المسند إليه ﴿هُم﴾ على المسند في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ﴾:

دلالــة تقديم المسند إليه على قوّة أمرهم فيما أُسنِدَ إليهم، لا على الاختصاص

تقدَّمَ المسند إليه ﴿هُم﴾ على المسند المشتقِّ ﴿بِخَٰرِجِينَ﴾ على أصل الكلام في التَّقديم؛ ليدلَّ على الاهتمام بشأنه، ولتنبيه المُخاطَب على ما سَيُخبرُ به عنهم، ولِبيان أنَّهم همُ المقصودون في الكلام؛ كي لا يُتَوَهَّمَ أنَّه أراد غيرَهم مِن أَجل تحقيق المعنى وتأكيده[2]، وتقديم المسند إليه؛ لأنّه الأصل، أي: لأنّ المسند إليه هو المحكوم عليه، ولا بدّ من تحقّقه قبل المحكوم، فقصدوا أن يكون في الذّكر أيضًا مقدّمًا[3]، وفي الآية نفي اندفاع العذاب، وتأكيد عدم الخلاص؛ لأنّ إرادتهم الخروج منَ النّار كان رغبة ذاتيّة في نفوسهم، جرّاء ما لاقوه من عذاب النّار الّذي كانوا ينكرونه من قبل، وهو الجزاء الوفاق على ما بدر منهم من نكران، وما أظهروه للمولى من كفران، ففصّل في أمرهم، وأخبر بتقديم المسند إليه الضّمير المنفصل ﴿هُم﴾، مسبوقًا بالنّفي ﴿وَمَا﴾؛ لاستبعاد الأمل في خروجهم، وقد اقتضى دوام كفرهم في الدّنيا دوام عذابهم في الآخرة.

ويشير الطّاهر ابن عاشور إلى أنّ قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ﴾[4] حالٌ أَوِ اعتراضٌ في آخر الكلام لقصد التَّذييل، قال: "وعدل

(1) القُونَوِيّ، حاشية القونوي على البيضاويّ: 7/457.
(2) الجرجانّي، دلائل الإعجاز: 129 - 130.
(3) القزوينيّ، الإيضاح: 2/50.
(4) هذه الآية تشبه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾ [البقرة: 167]، وهي تؤدّي الدّلالة نفسها في قوله تعالى من سورة المائدة: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧﴾ [المائدة: 37]، والفرق بينهما أنّ الأولى تذييل، والثّانية جزء من السّياق. ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/100.

عنِ الجملة الفعليّة بأن يقال (وما يخرجون) إلى الاسميّة؛ للدّلالة على أنّ هذا الحكم ثابت، وأنّه من صفاتهم، وليس لتقديم المسند إليه هنا نكتة؛ إلّا أنّه الأصل في التّعبير بالجملة الاسميّة، في مثل هذا إذ لا تتأتّى بسوى هذا التّقديم، فليس في التّقديم دلالة على اختصاص، لما علمت، ولأنّ التّقديم على المسند المشتقّ لا يفيد الاختصاص عند جمهور أئمّة المعاني، بل الاختصاص مفروض في تقديمه على المسند الفعليّ خاصّة، ولأجل ذلك صرّح صاحب (الكشّاف)، تبعًا لعبد القاهر الجرجانيّ، بأنّ موقع الضّمير هنا كموقعه في قول المعذّل البكريّ:

هُم يَفرِشُونَ اللِّبدَ كُلَّ طِمِرَّةٍ***وَأَجرَدَ سَبَّاقٍ يَبُذُّ المَغَالِيَا

في دلالته على قوّة أمرهم فيما أسند إليهم، لا على الاختصاص"[1].

دلالة الجملة الحاليّة في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ﴾:

لمّا كانتِ الواو حاليَّةً دلَّت جملةُ الحال على معنىً جديدٍ، وهو إثبات العذاب لهم بديمومته، ونفي انقطاعه، فبعد أَن أشعرَ قولُه: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ﴾ بخلودهم في النّار زادَه بنفي انقطاع العذاب عنهم ومقامه فيهم، فلا راحة لهم مِنَ العذاب أَبدًا.

الإقامة على حالة الكفر في الدّنيا مُفضٍ إلى الإقامة الدّائمة في النّار في الآخرة

مناسبة التّقديم والتّأخير في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾:

قدَّمَ المسندَ ﴿وَلَهُمۡ﴾ على المسند إليه ﴿عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾؛ للعناية بتقديمه والاهتمام بشأنه، فالمُخاطَبُ ينتظرُ مِن سياق الكلام الحديثَ عَن شأنهم، بعد أَن عرفَ أنَّهم ليسوا بخارجين مِنَ النَّار، والخاطرُ ملتفتٌ إليهم؛ فاقتضى تقديمَه، وذهب الرّازيّ إلى أنَّ التّقديمَ هنا يفيدُ التَّخصيصَ؛ فإنَّ العذاب الدّائم مُختَصٌّ بالكفَّار، فكان المعنى: ولهم عذابٌ مُقيمٌ لا لغيرهم[2]، ولاشكَّ في أنَّ

اقتضى دوام كفر المنكرين في الدّنيا دوام عذابهم في النّار في الآخرة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/100.

(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 11/351.

التَّخصيصَ لا ينفكُّ عنِ العناية والاهتمام، كما هو ظاهر من كلام السَّكّاكيّ[1]، وفي تقديم المسند رعاية للفاصلة القرآنيَّة، وتحقيقه أنّ تقديم المسند على المسند إليه، وهو مذهب السّكّاكيّ والخطيب؛ "يفيد قصر المسند إليه على المسند، فمعنى (عليك التّكلان) لا على غيرك. وصرّح به الزّمخشريّ في مَواضِع، والسّكّاكيّ في أحوال المسند، وقال في القصر: إنّه من قصر الموصوف على الصّفة. وعند الطّيبيّ ومن تابعه: أنّه من قصر المسند على المسند إليه، وهو عنده من قصر الموصوف على الصّفة، ذكره في التّبيان. وذكر صاحب الفلك الدّائر: أنّه لا يفيد قصرًا أصلًا، وذهب بعض المتأخّرين أنّه يردّ لكلّ منهما"[2].

دلالة تنكير لفظ ﴿عَذَابٌ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾:

غـــرض تـنـكـيـر المـسـنـد إلـيـه المـوصـوف في الآيـــة بـيـان عظم العذاب، وهوله، ودوامه

يدلُّ التَّنكيرُ على تنوّع العذاب على أهل النَّار، قال ابن عادل: "وقوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ يدلُّ على أنَّ لهم مع ذلك نوعاً آخرَ مِنَ العذاب"[3]، كما يدلُّ التَّنكيرُ على تعظيم العذاب المذكور وتفخيمه.

وذكر البلاغيّون أنّه يُؤتَى بالمسند إليه نكرة لأسباب منها: "أن يكون الغرض تعظيم المسند إليه أو تحقيره، وأنّه بلغ في رفعة الشّأن حدًّا فوق متناول المدارك، أو انحطّ إلى درجة لا يعتدّ بها، ولا يلتفت إليها، وقد اجتمعا في قول الشاعر[4]:

لَهُ حاجِبٌ في كُلِّ أَمرٍ يُشينُهُ***وَلَيسَ لَهُ عَن طَالِبِ العُرفِ حَاجِبُ

يقول: أنّ بينه وبين ما يشينه حجابًا كثيفًا، وهو إلى جانب هذا

(1) السّكّاكي، مفتاح العلوم، ص: 236.

(2) الخفاجيّ، عناية القاضي: 2/243، ويراجع: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 110، وما بعدها، والزمخشري، الكشاف: 2/555، 4/499، 745، والسبكي، عروس الأفراح: 1/365، والتفتازاني، حاشية الدسوقي، ص: 141، والإسفراييني، الأطول: 1/317، 504.

(3) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 10/141، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/81.

(4) البيت من بحر الطويل، نسب إلى أبي الطَمَحَان القَيْني، الديوان، كما نسب إلى ابن أبي السمط، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: 1/127.

في متناول أيدي العفاة، لا يحول دون قاصديه حائل، والشّاهد في لفظي (حاجب) في شطري البيت، حيث أتى بهما منكّرين، أمّا في الشّطر الأوّل فلقصد تعظيم الحائل دون ما يشينه، وأنّه في حصن حصين من كلّ ما يزري به، وأمّا في الشّطر الثّاني فلقصد تحقير ما يحول بينه وبين قاصديه؛ كناية عن أنّ بابه مفتوح على مصراعيه لمن يريد الولوج، فليس هناك أدنى مانعٍ يحجبهم عن فضله ومعروفه"[1].

بلاغة وصف العذاب بلفظ ﴿مُّقِيمٌ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾:

العذاب المقيم عذابٌ فوق العذاب، يصطلي به الكافرون بلا انقطاع

العذاب يكون قائمًا بهم[2]، ووصفه بالمقيم على صيغة اسم الفاعل للمبالغة في الإسناد الوصفيِّ، فصرَّحَ بالعذاب المقيم الّذي لا يزولُ ولا يتحوَّلُ، بما أُشير إليه سابقًا مِن عدم تناهي مُدَّته بعد بيان شدَّته[3]، فجاء الوصف على المبالغة؛ ليكون عذابًا فوق العذاب، فالعذاب في نفسه عقوبةٌ لهم، وكونُه مقيمًا دائمًا، لا ينقطعُ ولا يتحوَّلُ، عقوبةٌ أشدُّ.

وتنكيرُ لفظ ﴿مُّقِيمٌ﴾ يفيد تعظيم إقامة العذاب بهم.

(1) عوني، المنهاج الواضح: 2/42.
(2) الثّعلبيّ، الكشف والبيان: 4/60.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/34، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/189.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 9 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-61-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 9 : سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-61-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»